

المقام الأول، بنزعة نقدية، أو حتى بنزعة تقديرية على نطاق واسع، وإنما يكون متطوعاً إلى الأساتذة الذين سيستنبطون من وعيه ما يريد هو نفسه أن يقول، ونوع الشعر الذي يفترض فيه أن يكتبه. ويتسم ذوق الكاتب المراهق بالإرهاق ولكنه ضيق: إذ تتحكم فيه الحاجات الشخصية. ولم يكن نوع الشعر الذي كنت في حاجة إليه ليعلمني استعمال صوري الخاص، موجوداً في الانكليزية على الإطلاق. وما كان ليوجد إلا في الفرنسية. ولهذا السبب لم يكن لشعر بيتس الشاب وجود بالقياس إليّ إلا بعد أن اكتسب شعر بيتس الأكبر سناً حماسي. وفي ذلك الوقت — وأقصد من ١٩١٩ م فما بعد، عن طريق ذلك العمل تم إخراجها حيناً كانوا أحياناً.

ولا ريب أنني على يقين، فيما يتصل بشعراء انكلترا وأمريكا الشباب، إن إعجابهم بشعر بيتس كان إعجاباً حسناً على الإجمال. وكانت لغته أشد اختلافاً من أن يكون ثمة أي خطر لتقليدها، وكانت آراؤه أشد اختلافاً من أن تُداهن ويتم إثبات ما فيها من أحكام مُسبقة. وقد كان خيراً لهم أن يظفروا بمشهد شاعر حيّ عظيم عظمة لا جدال فيها، وكان أسلوبه لا يفريهم بالحاكاة، وكانت أفكاره متعارضة مع تلك الأفكار التي كانت رائجة بينهم. ولن تجد في كتاباتهم أكثر من أدلة عابرة على الانطباع الذي أحدثه. غير أن العمل، والرجل نفسه من حيث هو شاعر، كانت لهما أعظم الدلالة بالقياس إليهم من أجل ذلك كله. وقد يبدو هذا مناقضاً لما كنت أقوله عن نوع الشعر الذي يختار شاعر شاب أن يُعجب به، غير أنني أتحدث في الحقيقة عن شيء مختلف. فما كان مثل هذا التأثير ليكون لبيتس لو أنه لم يعد شاعراً عظيماً. غير أن التأثير الذي أتحدث عنه يرجع إلى شخصية الشاعر نفسه، وإلى التكامل في تعلقه بفنّه وصناعته، ذلك التعلق الذي زوّده بمثل هذا الحافز لتطور الفائق. لقد كان يعجب، حين يزور لندن، أن يلقي الشعراء الشباب وأن يتحدث إليهم. وقد تحدث الناس في بعض الأحيان بأنه متغطر مستبد. على أي لم أجده كذلك قط، فقد كنتُ أحسُّ، في أحاديثه إلى كاتب أصغر سناً، أنه يتقدم